العدد 20A1 اذار 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20A1 Mar. 2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

فاعلية التّحولات الزمنية في شعر امرئ القيس
_ دراسة في الصور والأساليب _

المدرس الدكتور حسن مزهر سليمان
الكلية التربوية المفتوحة / مركز كركوك الدراسي

The Effectiveness of Temporal Shifts in the Poetry of Imru' al-Qays: A Study in Imagery and Style

A research paper submitted by
Dr. Hassan Mazhar Suleiman
Open College of Education, Kirkuk Study Center

الملخّص

كثيراً ما كان الشاعر الجاهلي ينحني رهبةً وخوفاً أمام شعوره الطاغي بسطوة الزمن وتسلطه على كلِّ شيء من حوله، إذ رأى فيه قوة قاهرة تسيطر عليه وتسير به مرغماً نحو الفناء والمصير المحتوم، ولم يكن تفكير امرئ القيس لِيشذ عن ذلك النمط، فلطالما تملَّكه شعور بالخوف من تتابع الزمن ورتابة سيره، وكثيراً ما كان يربط بينه وبين الموت، ومن هنا كان كثيرا ما يلجأ إلى الهروب باتجاه معاكس من لحظته الحاضرة نحو زمن مضى كان فيه الجسدُ أكثرُ شباباً وفتوة، والروح أشدُّ بريقاً ونشوةً، وذلك ما كان يُشعِره بشيء من الإيجابية والسعادة، أو ربما سعى إلى البحث عن لحظة راهنة تتخلص النفس الإنسانية من وطأة همومها وتستشرف يوماً زاهراً يملؤه الأمل وتزدحم فيه الأمنيات، وأمَّا المستقبل فلم يكن يحمل بين طياته إلّا صورة ضبابية معتمة المعالم، غائبة التفاصيل، أكثر ما يمكن له أن يعرفه عنها هو أنّها قد غيبت أسلافه العظام وطوت صفحتهم، فأصبحوا عدماً كأن لم يغنوا في الحياة شيئا، وصار سلطانهم إلى أفول وملكهم إلى زوال بعد أن دانت لهم الدنيا وكانوا سادتها وملوكها .

الكلمات المفتاحية : امرؤ القيس، الزمن، القلق، اللحظة الماضية، اللحظة الحاضرة .

Abstract

The pre-Islamic poet often bowed in awe and fear before his overwhelming sense of time's power and its control over everything around him. He saw in it an irresistible force that dominated him and compelled him towards annihilation and inevitable fate. Imru' al-Qais's thinking was no exception to this pattern. He was always gripped by a fear of the relentless march of time and its monotonous pace, and he often linked it to death. Hence, he often He resorts to escaping in the opposite direction from his present moment to a bygone time when the body was younger and more vibrant, and the spirit more radiant and joyful, which made him feel somewhat positive and happy. Or perhaps he seeks a present moment in which the human soul can be freed from the burden of its worries and look forward to a bright day filled with hope and overflowing with wishes. As for the future, it held nothing but a picture The foggy, opaque features, lacking details, the most he can know about it is that it has obscured his great ancestors and turned their page, so they became nothing as if they had not accomplished anything in life, and their power has declined and their kingdom has vanished after the world submitted to them and they were its masters and kings.

المقدّمة

لا شكَّ أنَّ الزمن قد مثَّل للإنسان الجاهلي لغزاً محيراً، مبهماً، غامضاً ومستعصياً على الفهم أو الإدراك، إذ هو لا يعرف عنه شيئاً سوى نمط من علاقةٍ سّببية تقرن بينه وبين الموت، تلك العلاقة الوثيقة

التي جعلت من الزمن أداةً فاعلةً ووسيلةً حتميةً وطريقاً سالكةً تُفضي بالمرء نحو الفناء والموت ثمَّ التلاشي بعد ذلك في عالم مجهول من الغفلة والنسيان، إذ رحى الزمن تدور بانتظام وبلا هوادة أو كلل، وعجلته تسير باستمرار ومن دون توقف غير آبهة بحياة الناس أو أمنياتهم بالبقاء على قيد الحياة .

ومن هنا فقد سعى هذا البحث إلى دراسة فاعلية التحولات الزمنية التي كان الشاعر امرؤ لقيس يلجأ إليها عادةً للتخلص من ثقل لحظته الراهنة التي أجهدته وأرهقت كاهله والتحول نحو لحظة زمنية كانت الذات الشاعرة فيها أكثر شباباً وفاعلية وفتوة، أو ربما راح يسعى إلى البحث عن لحظة راهنة تتخلص النفس الإنسانية من وطأة همومها وتستشرف يوماً زاهراً يملؤه الأمل وتزدحم فيه الأمنيات، وأمّا المستقبل الخفي فلم يكن يحمل بين طياته إلّا صورة ضبابية معتمة المعالم، غائبة التفاصيل، أكثر ما يمكن للشاعر أن يعرفه عنها هو أنها قد غيبت أسلافه وطوت صفحتهم بين معالمها فأصبحوا عدماً كأن لم يغنوا فيها شيئا، وصار سلطانهم إلى أفول وملكهم إلى وزوال بعد أن دانت لهم رقاب الخلق بالطاعة وكانوا سادة الدنيا وملوكها .

ولما كان موضوع الزمن من الموضوعات الوجودية الكبرى التي شغلت الفكر البشري على الدوام فلا يمكن القول إنّ هذه الدراسة لم تُسبق بدارسات وبحوث أخرى، غير أنني أنطلق من رؤية مفادها أنَّ النص الشعري الجاهلي ينماز بكونه حقلاً خصباً وميداناً ثرياً واسعاً للدارسة والاستنطاق، ويأتي كتاب (الشعر والزمن) للدكتور جلال الخياط من بين الكتب المهمة التي سبقت هذا البحث والتي أفادت منها الدراسة كثيرا، فقد تكلم في بعض مباحثه عن رؤى الشاعر الجاهلي للزمن ووجله الدائم منه، وكذلك مثّل كتاب (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام) للدكتور عبد الإله الصائغ مصدراً غنياً ومنبعا ثراً أغنى هذه الدراسة وانتفعت منه بصورة كبيرة، وكذلك انتفع البحث من كتاب (الزمان والمكان وأثرهما في حياة الجاهلي وشعره) للدكتور صلاح عبد الحافظ، وأفاد البحث أيضا من الدراسة الموسومة بـ(أصداء الزمن عند الشاعر الجاهلي) للدكتورة أسماء أبو زيد محمد أبو زيد وغير ذلك من المصادر الأدبية وكتب النقد .

وقد اتخذت هذه الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي مضمارا ومنطلقا لها نحو تحقيق غايتها وبلوغ هدفها، إذ مكنني هذا المنهج من الوقوف على صعيد فناءٍ واسعٍ ورحبٍ من خلال تتبع الظاهرة ورصدها ووصفها أولاً ثم القيام بتحليلها بعد ذلك .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أَنْ أقسمها إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، جاء الحديث في التمهيد عن نظرة الإنسان الجاهلي بصورة عامة إلى الزمن وخوفه ووجله الدائم منه، ثم تناولت في المبحث الأول فاعلية اللحظة الزمنية الماضية وأهميتها في حياة امرئ القيس وكيف كان يلجأ إلى الإكثار من سرد مغامرات الماضي بوصفه الزمن الذهبي للذات، ثم جاء المبحث الثاني ليتناول الحديث عن بعض اللحظات الزمنية الآنيّة التي مثلت ومضات مشرقة في حياة الشاعر على الرغم من مرارة الإحساس بالوجل والقلق من الشعور باستمرارية الآلة الزمنية واستحالة وقوفها عند لحظة محددة في حياة المرء، وأمّا المبحث الثالث فقد تكلمت فيه عن إحساس الشاعر بالرهبة من غيبية الزمن الآتي والخوف من اللحظة المجهولة المقبلة، فالمستقبل غيب مجهول لم يكن يحمل بين طياته إلّا صورة ضبابية معتمة المعالم، غائبة التفاصيل، أكثر ما يمكن له أن يعرفه عنها هو أنها قد غيبت أسلافه العظام وطوت صفحتهم بين معالمها، فأصبحوا عدماً كأن لم يغنوا في هذه الحياة شيئا، وصار سلطانهم إلى أفول وملكهم إلى زوال بعد أن دانت لهم الدنيا وكانوا سادتها وملوكها ردحاً طويلا من الزمن. وسردت بعد ذلك قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث .

وختاماً فإنّني قد حاولت مجتهداً أَنْ يعود عملي هذا بالنفع على المتلقي الكريم وأنْ يضيف إلى المكتبة العربية شيئاً جديداً يثريها ويسهم في رُقيّها وتطورها، ولا يمكنني الزعم أنَّ هذه الدراسة قد خلت من النقص أو الخلل وإنْ اجتهدت في طلب ذلك الأمر وحرصت على بلوغه غاية الحرص، فإنْ كان من صوابٍ فللهِ سبحانه وتعالى الفضل والمنة، وإنْ كان غير ذلك فحسبي أَنّني حاولت وعسى الله تعالى أنْ يغفر لي تقصيري وإسرافي في أمري إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين .

التّمهيد

أخذ التفكير بالزمن وتأمله، والقلق من رتابة سيره وتتابع مروره حيّزاً كبيراً من فكر الإنسان الجاهلي، وبعث في وجدانه الكثير من مشاعر الخوف والوجل والقلق، وأثار في نفسه تساؤلات جدلية

حيرى وعقيمة، عجز إدراكه المحدود وتصوراته البسيطة للوجود عن إيجاد أجوبة شافية أو مقنعة لها يريح بها نفسه من قلقها وخوفها إزاء ذلك الشعور الطاغي الذي تملّكه وهو أنّ عجلة الزمن تسير به نحو محطة لابدّ له من بلوغها وحط رحله عندها مهما طال به الأَمد وامتدّ به الأجل، فهي نتيجة حتمية واقعة لا محالة، وهذه النتيجة هي الهلاك والفناء ثُمّ الانزواء بين طيات النسيان وعوالمه المجهولة، شأنه في ذلك شأن كل كائن حي لقي نهايته المتوقعة ومصرعه المحتوم، فالزمن آلة رهيبة تسحق كل شيء حيٍّ يعترضها أو يقف في طريقها، وفي هذا المعنى تقول الشاعرة صفية الباهلية[1]:

أَخْنَى على وَاحِدي رَيْبُ الزَّمانِ وما يُبْقِي الزَّمانُ على شَيْءٍ ولا يَذَرُ

من أجل ذلك فقد استقر في فكر الإنسان الجاهلي وثبت في روعه أنّ من ينهي حياته ويقضي على وجوده هو الدهر ولاشيء سواه، وأنّه لا حياة له يتنعم فيها بعد هذه الحياة " وليس غريبا أن يكون هذا الإحساس قد تحول إلى معتقد مترسخ في نفس الإنسان الجاهلي، فالدهر هو الذي يمتلك الفعل والإنسان عاجز عن أن يرده"[2]، وفي النص القرآني الكريم ما يؤيد هذا الزعم ويثبت دلالته القطعية، إذ يقول الله تعالى: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } [سورة الجاثية : 24]، من أجل ذلك فقد تملّك الإنسانَ الجاهلي الشعورُ بأنّ" الدهر شقاؤه الأكبر: يتحسسه بالأصائل والأسحار، بالنهار والليل، بالموت الذي مضى وجاء ويجيء. الوجود كله نسيج طواه الدهر أو هو آخذ بطيه"[3] .

وفي النص لشعري الجاهلي أمثلة كثيرة أكثر من أن تحصر أبدى فيها الشعراء عن إحساسهم بالوهن والهشاشة أمام قهر الزمن وقوته وجبروته، فها هو عنترة بن شداد الذي لم تنل منه الحروب ولم يبلغ من عزيمته صناديد الأبطال يتهاوى أمام سطوة الزمن ويشعر بالضعف والانكسار والهزيمة بسبب مرور الأيام وتتابع الليالي ثم لا يلبث أن يعلن عن استسلامه وانقياده لتقادم الزمان، وفي ذلك يقول[4]:

فَما أَوْهى مِراسُ الْحَرْبِ رُكْني ولكنْ ما تَقادَمَ مِنْ زَماني

وأمّا امرؤ القيس فقد لاحظ وتأمل وتفكّر طويلاً في هذا الوجود الرحب والفسيح وفي كل ما يحيط به من طبيعة صامتة، أو يدور حوله من أنواع الكائنات الحية، فأبصر فعل الزمن في المكان الدارس والطلل البالي وكذلك في الكائنات الحية الأخرى فراعه ذلك الأمر وأشجاه وأقلق عليه مضجعه حتى بلغ مرحلة اليقين بما لا يدع مجالا للشك من كونه وكلّ كائن حي يشاركه العيش في هذه الحياة الواسعة آخذون بالسير بسرعة متناهية نحو مصيرٍ حتمي غيبي لا يمكن له أن يدرك كنهه أو يبصر ماهيته، إذ يقول[5]:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

عَصافِيرٌ وذِبّانٌ وَدُودٌ وأَجْرَأُ مِن مُجَلَّحَةِ الذِّئابِ

وفي موضع آخر من ديوانه تخيّل امرؤ القيس دهره على هيئة غول كاسر لا عهد له ولا ذمة، حتى غدا كوحش خرافي مفترس يغدر بالرجال ويلتهمهم ويقضي على حياتهم بلا تردد وبلا أدنى رحمة أو شفقة، فقد قال[6]:

أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنّ الدَّهرَ غُولٌ خَتُورُ الْعَهْدِ يلْتَهِمُ الرِّجَالَا

ويشير المسجاح بن سباع الضبي إلى أنّ تتابع الليل والنهار، ومرور الأيام وانقضاء الشهر تلو الشهر قد أفنى حياته وأدنى أجله شأنه في ذلك شأن بقية الخلق، إذ يقول[7]:

---

(1) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الخطيب التبريزي، وضع حواشيه غريد الشيخ: 601 .
(2) تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة: 104 .
(3) مقدمة للشعر العربي، أدونيس: 25 .
(4) ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي: 296 .
(5) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: 97.
(6) المصدر نفسه: 309 .
(7) شرح ديوان الحماسة: 17.

وأفنـــــاني ولا يفنـــــى نهـــــارٌ ... وليـــــل كلمـــــا يمضـــــي يعـــــود
وشـــــهر مســـــتهل بعـــــد شـــــهر ... وحـــــول بعـــــده حـــــول جديـــــد
ومفقـــــود عزيـــــز الفقـــــد تـــــأتي ... منيتـــــه ومـــــأمول وليـــــد

ومما عمّق من حدة الشعور الإنساني بالخوف والرهبة من ظاهرة الزمن هي تلك المسألة التي يمكن لنا أن نطلق عليها تجوزاً تسمية (جدلية الغياب والحضور)، فالزمن في جانب من جوانبه هو أمرٌ معنوي غيبي مستعصٍ على الإدراك أو إمكانية التصور البشري وهذا ثابت لا جدال فيه، إذ لا يمكن للإنسان مطلقاً أن يرى الزمن أو أن يعرف له ماهية أو شكلاً محدداً، بمعنى أنّ تصوره غائب كلياً عن وعينا، وأما الجانب الآخر منه فيتمثل في حضوره الدائم وهيمنته الفعلية على كافة جوانب الحياة وبمختلف أشكالها العامة وتفاصيلها وجزئياتها الصغيرة، ويتجسد ذلك من خلال تلك الآثار التي يتركها مروره على كلّ كائن حي تسير به لحظاته إلى الأمام قُدماً بلا توقف وبلا هوادة، فهو" يظلّ في حركة مستمرة ذات اتجاه مستقيم لا يعود إلى النقطة التي بدأ منها ويؤثر في الذات الإنسانية فيحرمها حسّ الثبات ويجعلها في حالة تغير مستمرّ ينتهي بالموت الذي لا فكاك للإنسان منه "[8] .

المبحث الأول / نحو الماضي (الاسترجاع)

لا ريب أنّ المرءَ قد يغمره في بعض الأحيان حنينٌ جارف إلى الرجوع نحو لحظاته الماضية والانطواء خلف أزمنته التي طواها النسيان وأسدلَ عليها الزمانُ حُجبه وأستاره الصفيقة، لاسيما إذا كان وقته الراهن محبطاً، متوتراً، ومليئاً بالهموم والمشاكل والكآبة على النقيض من أيامه الخوالي وماضيه السعيد، بل ربما يكون ذلك الأمر من الفطر الطبيعية التي جُبل الإنسان عليها، إذ لا سبيل أحياناً إلى مواجهة الحاضر المتأزم سوى الجنوح نحو الماضي وسوى اللجوء إلى فيض الذكريات[9] .

وقد لجأ امرؤ القيس في نصه الشعري مراراً إلى التخلص من لحظاته العصيبة وحاضره المتأزم بالانصراف إلى الحديث عن ذكريات طواها الزمن كانت الذات فيها أكثر فاعليةً وحضوراً وبهجة وقدرة على التفاعل والعطاء، من أجل ذلك فقد كان كثير الحنين إلى لياليه الماضية وأيامه المنصرمة، فتارة تجده يحن إلى لياليه الجميلة التي كان يقضيها مستمتعا بصحبة الأحبة، وعيون من يهواها رانية إليه بتطلع وشغف، وقد قال في ذلك[10]:

لَيـــالِيَ يَـــدْعُونِي الْهَـــوَى فأجيبُـــه ... وأعْـــيُنُ مَـــنْ أهْـــوَى إلَـــيَّ رَوانِ

وتارة أخرى تجده يحن إلى مجالس اللهو والسمر التي كان يقضيها في أرض منبسطة كثيرة أشجار الطلح مستمتعا ومتلذذا ومنشرح الفؤاد حتى تطلع عليه أضواء الصباح وهو يحتسي الخمر محاطاً بمجموعة من الحسناوات، وقد قال في بيان صفة تلك الليالي[11]:

لَيَـــالِ بـــذاتِ الطّـــحِ عنـــد مُحَجَّـــرٍ ... أحـــبُّ إلينـــا مـــن ليـــالٍ علـــى أقَـــرْ
أغـــادِي الصَّـــبُوحَ عنـــد هِـــرٍ وَفَرْتَنَـــى ... وَلِيـــداً، وَهَـــلْ أفنـــى شـــبابيَ غَيـــرُ هِـــرا!

وتلك مسألة قد تبدو طبيعية إلى حد كبير، ذلك انّ "مما يزيد الشاعر انفصالا عن حاضره إحساسه بأن ماضيه كان بهيجا "[12]، لذلك غالبا ما كان امرؤ القيس يميل إلى أنْ " يقدم نفسه اليوم في صورة الأمس لكي ينفي عن نفسه الضعف الحالي. فالزمن الحقيقي لديه ليس زمانا مستمراً قدر ما هو زمان فائت استمر حقبة، فهو يكيل هنا للزمان الدهري الضربة بالعودة إلى زمانه الحقيقي، فلا يعترف الشاعر بزمانه الآن لأن فيه عجزه، وإنما يعترف بزمانه الماضي لأن فيه قوته، فالزمان هو الشباب والقوة، ولا سوى

([8]) موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، حسن صالح سلطان، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، إشراف د. عمر محمد الطالب، 2005م: 1 . وينظر : الدهر في الشعر الأندلسي دراسة في حركة المعنى، الدكتور لؤي علي خليل: 69 .
([9]) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د. عبد الإله الصائغ: 251_ 252 .
([10]) ديوان امرئ القيس: 85 .
([11]) المصدر نفسه: 109 _ 110 .
([12]) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: 253 .

ذلك"[13]، فحينما ضاقت نفسه وأحاطت به هموم الحاضر وضيقت الخناق عليه المآسي وهصر الحزن فؤاده بعد أن رأى آثار الزمن على المكان المهدم الخرب والطلل الدارس البالي فانعكس صدى ذلك المنظر الكئيب على نفسه المنهكة بمأساوية اللحظة الراهنة لجأ إلى التحول بالحديث نحو لحظاته المنصرمة وأيامه الخوالي وبدأ بسرد أحداث مغامراته الغرامية يوم كان شاباً فتياً يافعاً مرغوباً فيه، ويوم كانت حسناوات الحي وفاتنات القبيلة يحطن به من كل جانب ويتسابقن للاجتماع حوله بلا أدنى تحفظ أو ريبة وخجل، فيقوم بدوره بالاحتفال بهن وبإكرامهن غاية الإكرام إذ لم يتردد في لحظة انتشاء وسعادة غامرة عن نحر راحلته وشوائها، ثم تفريق لحمها بعد ذلك على تلك النسوة، ولعل تلك المسألة كانت تمنحه شيئاً من الشعور بالرضا والاعتداد بالذات بغض النظر عن مدى مصداقية القصة أو دقة مرجعيتها التاريخية، فالشعر كما يقول أحد النقاد:" يبني واقعه داخل الشعر وليس داخل الواقع"[14]، قال[15]:

ألا رُبَّ يـــومٍ لـــك مـــنهنَّ صـــالحٍ ولاســـيَّما يـــومٌ بـــدارةِ جُلجُـــلِ

ويـــومَ عقـــرتُ للعَـــذارَى مطِيتـــي فيـــا عَجبَـــاً مـــن رَحْلِهَـــا المتحمَّـــلِ

يَظَـــلُّ العـــذَارَى يـــرْتَمِينَ بلحْمِهَـــا وشَـــحْمٍ كهُـــدَّاب الـــدِّمَقْس المفتَّـــلِ

وحينما منعته فاطمة من نوال ودّها ومداومة وصالها بعد أن نال منها العُجبُ وأخذَّ الغرور منها كل مأخذ إذ علمت حقّ اليقين أنّ حبّها قد ملك عليه اللب وسلب منه الفؤاد وأدركت أنّها وحدها المتحكمة به حتى صارت شغله الشاغل فإذا أمرته أطاع ولبى وإذا تمنّعت عليه سار خلفها[16] لجأ إلى خلق جوٍ من توازن نفسي يخرجه من تأزم اللحظة الحاضرة وكآبتها فانعطف بالحديث نحو سرد مغامراته العاطفية وبطولاته الغرامية حينما كانت أكمل النساء شبابا وحسنا، وأحلاهن قدا واعتدالا، وأكثرهن حرساً ومنعة ترنو بشغف إليه وتتمنى وصاله ولا تمتنع عن لقائه، وفي ذلك يقول[17]:

وبَيْضـــةِ خِـــدْرٍ لا يـــرامُ خِباؤهـــا تمتَّعـــتُ مِـــن لهـــوٍ بهـــا غيـــرَ مُعجَـــلِ

تَجـــاوزت أحراســـاً وأهـــوالَ معشَـــرٍ علـــيَّ حِـــراصٍ لـــو يُشِـــرّون مَقتلِـــي

وقد اتخذ الشاعر في هذه الأبيات من (واو ربَّ) منفذاً ومُدخلا أسلوبيا للتخلص من لحظته الحاضرة التي جاءت مثقلة بمرارة الشعور برفض الآخر له والتحول إلى الحديث عن زمن الفتوة والشباب يوم كان جريئا مقداما لا يتورع عن مواجهة أقوى المخاطر ويتحدى أكبر الصعاب حتى يصل إلى غايته المنشودة، وزيادة على ذلك فقد بيّن بوساطة هذا الأسلوب أنّه لم يكن محط إعجاب النساء العاديات أو المبتذلات بل كان يجذب إليه الخاصة من النساء، تلك النسوة القلائل اللاتي كُنّ ينفردن بالحسن والجمال والتفرد والمنعة، إذ الأداة رب قد تحمل في ثناياها معنى التقليل[18]،" وفضلاً عن ذلك، فإن امرأ القيس _ كما يزيد في إضفاء الهالة الجمالية على تمثاله _ قد رسم امرأة من طبقة النبلاء المنعمة"[19] .

وقد يَنْسلُّ امرؤ القيس إلى حديث الصبا وفيض الذكريات الجميلة من خلال الحوار، إذ قد يتخذ من حديث المرأة والحوار معها والرد عليها وسيلة فنية للوصول إلى التحول نحو حديث الماضي السعيد وسرد مغامرات الشباب المنصرم كما حدث في حواره مع امرأة تسمى(بسباسة) وقد عيّرته ذات يوم بأنّ شبابه قد ولى وانصرم وأنّ الكبر قد نال منه وأخذ منه كل مأخذ فلم يعد يصلح للهو أو المسامرة بزعمها[20]:

ألا زَعَمَـــتْ بَسْبَاســـةُ اليـــومَ أنّنـــي كَبِـــرْتُ وألّا يُحسِـــنُ اللّهـــوَ أمثـــالي

---

(13) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، د. صلاح عبد الحافظ: 335 .
(14) أقنعة النص (قراءات نقدية في الأدب)، سعيد الغانمي: 63 .
(15) ديوان امرئ القيس: 10 _ 11 .
(16) ينظر: المصدر نفسه: 12_ 13 .
(17) المصدر نفسه: 13 .
(18) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: 3 / 32 .
(19) بحوث في المعلقات، يوسف اليوسف: 242 .
(20) ديوان امرئ القيس: 28 .

فما كان منه إلّا أن انتفض عليها بشدة وكذّب زعمها وفنّد حديثها فما زال بإمكانه أنْ يخوض المغامرات العاطفية ويجذب إليه النسوة كما في أيامه الخوالي يوم كان بإمكانه اللهو والتمتع بامرأة توافرت فيها أغلب موصفات الحسن والجمال فغدت كمصباح يضيء الظلام له في ليل بهيم حالك السواد، وفي ذلك قال[21]:

كذبْتِ، لقد أَصْبي على المرءِ عِرْسُهُ ... وأَمْنَعُ عِرْسي أن يُزَنَّ بها الخَالي
ويا رُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ ... بآنسةٍ كأنّها خَطّ تِمثالِ
يُضيءُ الفِراشَ وَجْهُها لضَجِيعِها ... كمصباحِ زَيْتٍ في قنادِيلِ ذَبَّالِ

ويمكن ملاحظة أن المرأة المنشودة في هذه الأبيات كانت متفردة وهي تقترب في صفاتها إلى حدٍ كبير من المرأة المثال، فكأننا بالشاعر يضفي على هذه المرأة صفة القداسة فهي وضاءة شديدة الحسن والجمال حتى بدت وكأنها قبس من نور، أو كمصباح زيت ينير الظلام الحالك، وهي فاتنة شديدة الجمال كأنها تمثال معبود، وتفرد تلك المرأة يشير من جانب آخر إلى تفرد الشاعر (المعشوق) واعتداده الشديد بذاته وإحساسه الغامر بالتميز والتفرد عن كل ما هو عادي أو مألوف .

وربما جعل امرؤ القيس من أسلوب الشرط مُدخلا إلى الحديث عن لوحة الماضي وتقلباته السعيدة، كما في قوله [22] :

فإن يكُ دَهْرٌ أتى دُونَهُ ... حوادثُ تُنْسِي الحياءَ الجليدَا
فقد كنت فيمَا مضى مُصْعَباً ... أبيَّ الخِطام عَزِيزاً مَرِيدا
وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ ... فَأَوْجَهَني وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

وقد يلجأ امرؤ القيس إلى الجمع والموافقة بين أسلوبي الحوار وأسلوب الشرط ويتخذ منهما ممراً أسلوبيا للانتقال إلى الحديث عن لوحة الماضي السعيد في مواجهة حاضره المتأزم ولحظته المثقلة بالهموم، كما في قوله[23]:

فإمّا تَرَيْني في رِحالَةِ جَابِرٍ ... على حَرَجٍ كالقَرّ تَخفِقُ أَكْفَاني
فيا رُبَّ مَكْروبٍ كَرَرْتُ وراءَه ... وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه فَفَدّاني
وفِتْيانِ صِدْقٍ قد بَعَثْتُ بسُحْرَةٍ ... فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوَانِ
وَخَرْقٍ بَعيدٍ قد قَطَعْتُ نِياطَهُ ... على ذاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ المَشي مِذْعَانِ
وَغَيْثٍ كأَلْوانِ الفَنَا قد هَبَطْتُهُ ... تعاوَرَ فيه كلُّ أَوْطَفَ حَنّانِ
على هَيْكَلٍ يُعطيكَ قبلَ سُؤَالِهِ ... أفانينَ جَرْيٍ غَيرَ كَزٍّ ولا وانِ

لا يحدد النص هنا هوية المرأة المحاورة ولا يفصح عن ذات معلومة يحيل القارئ إليها بل يترك المتلقي أمام فضاء مفتوح من التأويلات والدلالات، فقد يكون الآخر هنا امرأة حقيقة قد أبصرته في حال يرثى لها وهو محمول على مركب من ألواح خشبية كأنّه التابوت وثيابه تضطرب بالحركة كأنّها الكفن! وقد يكون الآخر هنا هي نفسه المثقلة بمرارة الحاضر وبمأساوية الخاتمة، إذ أخذت تستشعر قرب النهاية ودنو الأجل المحتوم! فلم يمتلك عند ذلك الحين إلّا الجنوح نحو " الماضي ولا شيء غير الماضي، كلعبة مارسها الإنسان في كل مكان وزمان، ليبعد عنه وطأة الحاضر والمستقبل، ليهرب من ذاته، وليغذي النزيف الذي يجري في شرايينه ويتخذ شكل ذكريات تلح عليه أن يموت في ظلالها، فيتخلص من واقع متعب ومن مستقبل يتخيله مرعباً"[24].

([21]) المصدر نفسه: 28 _ 29 .
([22]) المصدر نفسه: 252 .
([23]) المصدر نفسه: 90 _ 91 .
([24]) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، د. كمال أبو ديب: 326 .

ويتكرر ذلك الحوار مع امرأة مجهولة لا يحدد الشاعر هويتها في نص شعري آخر له، غير أنه يتخذ منها منطلقا للخوض في حديث الزمن الماضي والأيام الخوالي وسرد مغامرته يوم كانت الحال مختلفة عما كانت عليه اليوم، إذ كان بإمكانه أن يكون فاعلا لحظة الوغى فيفك كربة المكروب وهذا في الحرب والقتال، وأما في أوقات سلمه فهو الشاب الوسيم الذي يعتد بنفسه ويهتم بمظهره فيروح مرجل الشعر جميل الهيئة إلى الكواعب من النساء، إذ يقول[25]:

فإمَّـــا تَرَيْنِـــي لا أغمِّـــضُ ســـاعة ... مـــن اللّيـــل إلا أن أكِـــبَّ فأتعَسَـــا
تـــأوَّبني دائـــي القـــديمُ فغَلَّسَـــا ... أحـــاذر أن يرتـــدّ دائـــي فأنكسَـــا
فَيَـــا رُبَّ مَكـــروبٍ كـــررتُ وراءَهُ ... وطاعنـــتُ عنـــه الخيـــلَ حتـــى تنفّسَـــا
ويـــا ربَّ يَـــوْمٍ قـــد أَرُوحُ مُـــرَجَّلاً ... حَبِيبـــاً إلـــى البِـــيضِ الكَواعِـــبِ أملَسَـــا

وقد يعمد امرؤ القيس إلى جعل اللحظة الماضية مفعمة ومليئة بالتنويعات الفعلية التي كان بإمكان الذات الشاعرة أن تقوم بها في زمنها المنصرم، مستثمراً في ذلك ما يمتلكه أسلوب الشرط من إمكانية التوسع في الدلالة المعنوية والربط بين جزئيات الصورة المشكلة للنص، كما في قوله[26]:

فَـــإنْ أَمْـــسِ مَكْرُوبـــاً فيـــا رُبَّ بُهْمَـــةٍ ... كَشَـــفْتُ إذا مـــا اسْـــوَدَّ وجْـــهُ الجَبَـــانِ
وإنْ أَمْـــسِ مَكْرُوبـــاً فيـــا رُبَّ قَيْنَـــةٍ ... مُنَعَّمَـــــةٍ أَعْمَلْتُهـــــا بِكِـــــرانِ
لَهَـــا مِزْهَـــرٌ يَعْلُـــو الخَمِـــيسَ بصَـــوْتِه ... أَجَـــشُّ إذا مـــا حرّكَتْـــهُ اليَـــدانِ
وإنْ أَمْـــسِ مَكْرُوبـــاً فيـــا رُبَّ غـــارَةٍ ... شَـــهِدْتُ عَلَـــى أَقَـــبَّ رِخْـــوِ اللَّبَـــانِ
علـــى رَبَـــذٍ يَـــزْدَادُ عَفْـــواً إذا جَـــرَى ... مِسَـــحٍ حَثِيـــثِ الـــرَّكْضِ والـــذَّأَلَانِ

وبإجراء موازنة سريعة بين زمني القصيدة من حيث المساحة التكوينية لكل منهما على رقعة النص الشعري يتجلى لنا بوضوح مدى ثقل اللحظة الراهنة وجمودها في مقابل سعة الماضي ورحابته وهيمنته وتنوع دلالاته، ففي صدور هذه الأبيات تتكرر عبارة واحدة لا غيرها وبشكل لافت للنظر وهذه العبارة هي قوله: (إن أمس مكروبا) كلازمة أسلوبية، والتكرار يعد " من الأسس الأسلوبية التي تعمل على تكثيف التماثل في النص الشعري"[27]، بمعنى أن الشاعر اعتمد على صيغة واحدة أخذ يكررها لأكثر من مرة وهي تشير إلى شدة كربه وشعوره الطاغي بالتأزم والقلق حيال زمنه الراهن الذي خصّ منه المساء بالذكر حين يختفي الضوء ويعم الأرض الظلام فتتكاثف هموم الذات ويتعالى أنينها، بينما جاء الماضي حيوياً ومليئا بالتنويعات الفعلية من (كشف حقيقة الأمر المبهم الذي لا يهتدي إليه إلّا امرؤ عرف بإقدامه وشجاعته، وحضور مجالس الأنس والطرب بصحبة فتاة جميلة حسناء، وشهود الغارات والمعارك بشجاعة وإقدام ممتطياً صهوة حصانٍ سريع الجري ورشيق خفيف الحركة فهو ضامر البطن ...) .

ولابد من الإشارة هنا إلى الفاعلية التي يؤديها أسلوب الشرط في تحقيق وحدة القصيدة الموضوعية وسبك متن النص الشعري ومن ثم الربط العضوي بين جزئيات الصورة والانتقال بسلاسة بين الأزمنة، فأداة الشرط وفعل الشرط يشيران إلى الزمن الحاضر وهما يأتيان في القسم الأول من النص (الزمن الحاضر) بينما يأتي جواب الشرط ليدل على فاعلية الذات في الزمن الماضي " وقد استثمر الشعراء هذه الخصيصة البنيوية حيث جعلوا الجزء الأول من التركيب في نهاية الشريحة المراد الانتقال منها، والجزء الثاني من التركيب في بداية الشريحة المراد الانتقال إليها، فيأتي الربط محكماً بطريقة تلقائية"[28] .

([25]) ديوان امرئ القيس: 105 _ 106 .
([26]) المصدر نفسه : 86 .
([27]) اللغة الشعرية (دراسة في شعر حميد سعيد)، محمد كنوني: 122 .
([28]) التخلص في القصيدة العربية من الصيغة إلى البنية، هاني توفيق نصرالله، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، مج14،ع5، 1999م: 117 .

وهكذا يتضح لنا أنّ الزمن الماضي يُعدّ الزمن الذهبي والجوهري بالنسبة للشاعر امرئ القيس، لذلك فقد كان كثيرا ما يجابه تأزّم اللحظة الراهنة ويحاول أن يتخلص من الإحساس بقسوتها من خلال الجنوح نحو فيض الذكريات السعيدة والتحدث عن المغامرات التي خاض أحداثها في زمنه المنصرم، وهو ما يسمى في حقل الدراسات السردية بـ(الاسترجاع) الذي يشير إلى" ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة "[29]، ويبدو أنّ امرأ القيس قد لجأ إلى توظيف الاسترجاع في نصه الشعري لكون حاضره كان" ذو وجه واحد، وذو بعد واحد إنّه حاضر التفتت والانحلال والتغير الفاجع. الحاضر لا يحمل في ثناياه وعدا بمستقبل أزهى وأخصب وأكثر ثراء. إنّه دائما حاضر قاتم مأساوي "[30]. وعلى هذا الأساس فـ"يمكن القول بأن لجوء امرئ القيس إلى الماضي وإحياء ما كان منه ورديا هو دليل قاطع على اليأس من الحاضر والمستقبل "[31] .

اللحظة الحاضرة (بين الألم والأمل)

مرّ بنا أنّ الزمن المنصرم قد مثّل الزمن الذهبي بالنسبة للشاعر امرئ القيس، وأمّا الزمن الراهن فقد كان الزمن الذي يعتريه القلق ويشوبه التوتر ويملؤه الإحساس بالإحباط، لذلك فإنّ المتتبع لشعره سوف يلاحظ أنّ لحظته الحاضرة كثيراً ما كانت تقترن بفعل البكاء والتوجع والألم، وتمتلئ بإحساس الفقد والحرمان والخوف من المجهول، ولعل ذلك الأمر قد تجلى بأوضح صوره في المقدمة الطللية لحظة وقوف الشاعر على الطلل الدارس وإبصاره بقايا الديار المهدمة والأرض المجدبة الخاوية التي استحالت يبابا حينما خلت من ساكنيها ورحل عنها أهلها بعد أن تقادم عليها طول الزمان وأتت على أهلها حوادثه، كما في قوله في مطلع معلقته[32]:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ وَحَومَلِ

وتتكرر هذه البكائية في نصه الشعري كثيراً حتى إنّها شكلت ثيمة بارزة إنماز بها شعره، فقيل عنه إنه أفضل من وقف واستوقف الصحب كي يبكي الديار[33]، فتارة تجده وهو جالس في عرصات الدار يعد الحصى وعبراته لا تكاد تنفد أو تنقضي[34]، وتارة أخرى تسيل دموعه كما المطر المنسكب من السماء بعد أن أثار الطلل البالي ذكريات الصبا وأشجان العمر المدبر فتذكر الأحبة والأصحاب[35]، ومرة أخرى تسكب دموعه حينما تهيجه رؤية ديار الحي وقد فعل بها تتابع مرور الزمن الأفاعيل فخلت من ساكنيها وصارت خرابا بلقعا[36]، وكأننا بالطلل في هذه المقدمة قد أُحِيل إلى معادل موضوعي للذات التي أبصرت فنائها وتلاشيها في المكان الخرب، فالشاعر لا يبكي على ذلك المكان المندثر بقدر ما يبكي على ذاته وعلى محيطه الاجتماعي الذي شتته تتابع الزمان واستمراريته اللامتناهية، فقد" رأى أنّ الاندثار هو معادل موضوعي لفنائهم وتلاشيهم وطي صفحتهم من على خارطة الحياة، ولذا فقد شكلت المأساة محورا للمقدمة الطللية"[37]، غير أنّ ذلك كله قد لا يعني أن اللحظة الراهنة لم تكن تحتوي على ومضات مشرقة تسعد بها نفسه ويفرح بها فؤاده، كما حصل حينما أنتصف لنفسه وشفى غليله وأخذ بثأره من قبيلة بني أسد قتلة أبيه، فطابت نفسه حينذاك وغمره إحساس عارم بالنشوة والفخر وشكلّ زمنه الحاضر زمناً سعيداً قياسا بزمنه المنصرم الذي كان مثقلاً بهموم السعي لأخذ الثأر، فقد شعر بأنه قد وجد ذاته مرة أخرى حين

([29]) تقنيات السرد في رواية الغيث لمحمد ساري، بوتالي محمد، رسالة ماجستير، معهد اللغات والأدب العربي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، إشراف د. أحمد حيدوش: 23 .
([30]) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي: 226 .
([31]) بحوث في المعلقات : 157 _ 158 .
([32]) ديوان امرئ القيس: 8 .
([33]) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: 1/ 218 .
([34]) ينظر: ديوان امرئ القيس: 78 .
([35]) ينظر: المصدر نفسه: 89 _ 90 .
([36]) ينظر: المصدر نفسه: 300 .
([37]) أصداء الزمن عند الشاعر الجاهلي، د. أسماء أبو زيد محمد أبو زيد، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، ع 36، ديسمبر، 2021م : 1615 .

اشتفى من واتريه، فتحلل من العهد الذي قطعه على نفسه وأخذ يعاقر الخمر من جديد بعد أن شُغل عنها بطلب الثأر وهجرها ردحاً طويلاً من الزمن، وفي ذلك يقول مفتخراً[38]:

حَلَّتْ لِيَ الْخَمْرُ وكنتُ امْرَأً عن شُرْبِها في شُغْلٍ شاغِلِ
فَاليومَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحقِبٍ إثماً مِنَ اللهِ ولَا واغِلِ

وربما حدث نفسه بضرورة التغلب على إحساسه الطاغي بالخوف من تسارع وتيرة هذا الزمن الذي هو آخذ بالسير به نحو النهاية الحتمية والفناء المؤكد بضرورة التشبث بلحظته الحاضرة وأخذ كفايته من ملذات الدنيا ونعيمها لاسيما تلك النسوة الفاتنات اللاتي كأنهنّ الظباء بياضاً وطول قدود وضمور خصور، أو كأنهنّ التماثيل التي أجاد صانعها في صوغها وأبدع في نحتها وزينها فأخذنّ يتلألأن ويشعنّ بريقاً وجمالاً، وفي ذلك يقول[39]:

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانِ مِن النِّسْوَاتِ والنِّسَاءِ الْحِسَانِ
مِن البيض كالآرام والأَدْمِ كالدُّمَى حَواصِنُها، والمُبْرِقَاتِ الرَّوانِي

وحينما شعر برحيل الصبا وانسياب الشاب من بين يديه لم يتوجه إلى عالم الذكريات وإلى الانغماس في الماضي كعادته بل كان واقعياً وتوجه مباشرة نحو الحاضر وذكر بعض الطقوس أو الممارسات الفعلية التي يمكن لها أن تجعل من زمنه الراهن أكثر إيجابية وتفاؤلا وسعادة، وقد بيّنها بقوله[40]:

وأصبحتُ وَدّعتُ الصّبا غير أنّني أراقبُ خَلّاتٍ من العيش أربعا
فمنهنَّ قَولِي للنّدامَى تَرَفّعُوا يُداجون نَشّاحاً من الخمر مُتْرَعَا
ومِنْهُنَّ رَكْض الْخَيْلِ تَرْجُم بالقنا يبادِرْن سِرْباً آمِناً أَنْ يُفَزّعا
وَمِنْهُنَّ نَصُّ الْعِيسِ واللّيْلُ شامِلٌ تَيَمَّمَ مَجْهُولاً مِنَ الْأَرْضِ بَلْقَعَا
خوارجَ من برّيّةٍ نحو قريَةٍ يُجَدِّدْن وصلاً أو يُقَرّبْن مَطْمَعَا
وَمِنْهُنَّ سَوْفى الخَوْدَ قَدْ بَلّها النّدى تُراقِبُ مَنْظُومَ التَّمائِمِ مُرْضِعَا

بيّنت هذه الأبيات الفلسفة التي كان امرؤ القيس يؤمن بها ويميل إليها تجاه الإحساس السلبي بحركية الزمان الأفقية نحو الأمام، وتتجلى هذه الفلسفة في الممارسة الآنية لبعض الطقوس الجماعية والفردية، فمن تلك الطقوس محاولة الاندماج مع الجماعة من خلال مشاركة الصحب والأتراب مجالس الشرب والسمر واللهو، ومنهن الانصهار في بوتقة القبيلة وركوب الخيل وشهود الغارات ومشاركة قومه في حروبهم ومعاركهم المصيرية، أو لعلّ ركوب الإبل في ليل بهيم حالك السواد ثم التوجه بها نحو فلاة بعيدة مجهولة قد يمنح النفس شيئا من الراحة والسكينة والهدوء فيبعثها على التأمل والاستجمام، ولا يغيب عن باله سرد شيئا من مغامراته العاطفية مع امرأة ذات جمال وخفر وحياء وهو _ كعادته _ لا يميل إلى الأمور العادية التي يتساوى فيها مع غيره، لذلك يحكي لنا أنّ تلك المغامرة حدثت له مع امرأة لها طفل رضيع كانت تحنو عليه وتغمره بحنانها وتخاف عليه فتعلق _ لشدة حرصها عليه _ على رقبته التمائم، وهو ما يجعلها أكثر تمنعاً من سواها، غير أنّ ذلك الأمر لم يكن ليحيل بينه وبين بلوغ مبتغاه ونوال ودّها ووصالها .

ولكن أجمل لحظاته التي كان يعيشها في زمنه الآني هي تلك اللحظات التي كان يمتطي فيها صهوة حصانه عند إطلالة الصباح الأولى قبل أن تشرق الشمس بأشعتها وقبل أن تغادر الطيور أوكارها وأعشاشها ثم يتوجه به نحو الفضاء الطلق والبراري الواسعة يقيد الوحوش ويصطاد الظباء، وكأنّ تلك الحركة المفرطة في النشاط كانت وسيلة ناجعة تخرجه من مرارة الإحساس بفناء المكان وأثر الزمان فيه،

---

(38) ديوان امرئ القيس: 122 .
(39) المصدر نفسه: 87 _ 88 .
(40) المصدر نفسه: 240 _ 241 .

فإذا كان الزمان بحركته واستمراريته يجلب الموت والركود لكل ما هو محيط بالذات الشاعرة فإن حركة تلك الذات على حصان مفرط النشاط تأتي كردة فعل تخرجها من ربقة الشعور بهذا الإحساس وتمنحها شيئا من الرضا والسعادة، وقد تكرر هذا الفعل بصورة لافتة للنظر في ديوانه حتى شكل لازمة أسلوبية تفرد بها هذا الشاعر فهو أشهر من ذكر الفرس وتكلم عن لوحة الصيد في الشعر العربي[41]، حتى أن الشعراء بعده لم يستطيعوا الانفكاك من أسر معانيه وصوره في وصف الخيل" وهناك ملاحظة واضحة، وهي أنّ امرأ القيس علم الشعراء كيف يتحدثون عن الخيل، أعني أن مكانة امرئ القيس ليست مرهونة بجودة تفكيره، وإنما استطاع أن يغزو عقل الشعراء في كل ما قال سواء في موضوع الخيل أم في غيره من الموضوعات" [42]، ولعل أشهر ما جاء في هذا المعنى هي أبياته التي قال فيها[43]:

وقد أغتدي والطّيرُ في وُكُناتِها ... بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدِ عن حالِ مَتْنِه ... كما زلّتِ الصَّفْواءُ بالمتَنَزَّلِ
مِسَحٍ إذا ما السابحاتُ على الونَي ... أَثَرْنَ غُباراً بالكَدِيدِ المرَكَّلِ
على العَقْبِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهتزامَه ... إذا جاشَ فيه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

نقف في هذه الأبيات أمام لحظة آنية مشرقة ومليئة بالتفاؤل والحيوية والنشاط إذ هي لحظة امتزجت فيها الحقيقة بالخيال واختلط الواقع بالأسطورة وساهم التناغم بين مزيج الألوان والأصوات في رسم الصورة وتوليد الدلالة المعنوية، ورسم الشاعر صورة حسية وحركية لمشهد فريد لتلك الأوقات السعيدة التي قضاها على صهوة حصان بدا إلى حدٍ ما كائنا خارقا متميزا مفعما بالنشاط والحيوية حتى إنّه ليمكنه أن يتحرك بمختلف الاتجاهات دون أن يُجهد أو يتعب وكأنّنا به يسير مرتفعاً عن مستوى سطح الأرض فهو لا يثير الغبار، ولا يترك أثرا ملموساً، وقد بدا لفرط نشاطه وسرعته وقوته كصخرة صماء ألقى بها السيل من مكان مرتفع شاهق العلو، وأمّا صوت حمحمته فيشبه ذلك الصوت المنبعث من قدر وضعت على نار مضطرمة فأخذ الماء فيها يجيش ويغلي .

ولم يكن الحصان هو أنيسه الوحيد الذي كان يساعده على التخلص من هموم الذات أو تجاوز تلك الذكريات السلبية التي كان يلقاها حال مروره بديار الأحبة فيسرح في خياله بعيدا، فللناقة، أيضاً، حضور واضح في نصه الشعري، إذ هي أداة آنية يتسلى بها من همومه ويتخلص من مشاكله، فحينما أبصر المكان الخاوي فأثار الذكريات وهيج الحنين إلى الأهل والآل[44] دعا النفس إلى ترك كل ذلك جانبا والاستعاضة عنه بناقة نشيطة فتية سريعة لا ترعوي عن السير في رمضاء الصحراء وحرّ الهجيرة وهي قوية شديدة حتى انّ الحصى لتتطاير من سرعة سيرها، وفي ذلك يقول[45]:

فَدعْ ذَا وسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إذا صامَ النّهارُ وهَجَّرَا
تُقَطِّعُ غِيطاناً كأنَّ مُتُونَهَا ... إذا أظهرتْ تُكسَى مُلاءً مُنَشَّرا
بَعِيدةُ بينِ المَنْكِبَيْنِ كأنّها ... تَرَى عند مَجْرَى الضّفْرِ هرّاً مُشَجَّرا
تُطايرُ ظَرَّانَ الحَصَى بمناسِمٍ ... صِلابِ العُجَى ملثومُها غيرُ أمْعَرا

وحينما أرّقه منظر ديار ليلى بعد أن خلت من ساكنيها ورحل عنها الأهل والأحبة[46] توجه إلى حركة آنية يجابه بها حزن الذات وانكسارها بسبب الفراق فراح يطوي الفلوات ويقطع البراري والآكام

([41]) ينظر: المصدر نفسه: 36، 46، 75، 160، 172، 292 .
([42]) قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف: 77 .
([43]) ديوان امرؤ القيس: 19 _ 20 .
([44]) ينظر: المصدر نفسه: 61 _ 62 .
([45]) المصدر نفسه: 63 _ 64 .
([46]) ينظر : المصدر نفسه : 189 .

بناقة فتية خفيفة الحركة كأنها لفرط نشاطها وقوة جسدها ثورا وحشيا أو ظبية أفردت عن القطيع فهي متحفزة نشطة في البحث عنه، وفي ذلك يقول[47]:

قَــدْ أَقْطَــعُ الأرضَ وَهْــيَ قَفْــرٌ ... وصــــاحِبي بــــازلٌ شِــــمْلالُ
ناعمــــــة نــــــائمٌ أَبْجَلُهــــــا ... كــــــأنَّ حاركَهــــــا أَثَّــــــالُ
أو أنهــــا عَنْــــزُ بطــــنِ وادٍ ... تعْــــدُو وقــــدْ أَفْــــرِدَ الْغَــــزَالُ
عَــــدْواً تَــــرَى بَيْنَــــهُ أَبْواعــــاً ... تَحْفِــــزُهُ أَكــــرُعٌ عِجَــــالٌ

وهكذا فلم يكن الحاضر بمجمله زمنا سلبيا أو مأساويا بالنسبة للشاعر امرئ القيس، إذ شكلت بعض اللمحات فيه أوقات جميلة ومشرقة بالتفاؤل والأمل، منها إحساسه ببلوغ هدفه وتحقيق مبتغاه حينما انتصف لنفسه وأخذ بثأره من قبيلة بني أسد وأحلافها بعد أن قتلوا أباه غيلة وغدراً فتسببوا بضياع ملكه وزوال سلطانه، ومن بين أوقاته السعيدة في زمنه الآني تلك الأوقات التي كان يلتقي فيها مع اللدات والصحب والأتراب يعاقرون الخمر ويسمرون ويلهون غير مبالين بشيء، ومن أوقاته الجميلة هي تلك المغامرات النّسوية العابثة التي كان يقوم بها بين الفينة والفينة تحت جنح الظلام بعد أن يرخي الليل بسدوله، وأما لحظة الطرد والصيد فقد كانت من أجمل أوقاته الآنية السعيدة التي يشعر فيها بتحقيق ذاته ويتحرر من مشاكله وهواجسه ويجابه بها تأزم اللحظة الحاضرة، ومن أسباب سعادته وتسلية همومه، أيضاء، امتطاء صلب ناقة نشيطة وقوية يجوب بوساطتها تلك الآكام والبراري الرملية الواسعة فيذر جُل مشاكله وهمومه خلف ظهره .

المبحث الثالث/ متلازمة الخوف من المستقبل المجهول

ليس بخافٍ على كثير منّا أنّ الأحداث في أي نص فني إبداعي تتحرك ضمن الفضاء الزمني" وفق أزمنة متعددة ماضية ومضارعة، أزمنة مشت يسترجعها الشاعر ليقف على أطلالها، وأزمنة يعيشها يقف على حلوها ومرها، يبكيها أو يتوحد بها، وأزمنة أخرى يرجوها وينتظر تحقيقها لتكون هي مستقبله الجميل"[48]، غير أنّ امرأ القيس لم يكن يرنو إلى مستقبل جميل وواعد، فقد أرعبه هاجس الإحساس بسرعة تدفق الزمن نحو الأمام وأقلق عليه مضجعه وتركه يهيم في سبحات الفكر والخوف من الآتي المجهول، وفي نصه الشعري ما يؤكد تلك الحقيقة مثل قوله[49]:

أَلَــمْ يَحْزُنْــكِ أَنّ الــدَّهرَ غْــولٌ ... خَتُــورُ الْعَهْــدِ يلْــتَهِمُ الرِّجَــالَا

وكذلك قوله[50]:

بَيْنَمَــا الْمَــرْءُ شِــهَابٌ ثاقــبٌ ... ضَــرَبَ الــدَّهْرُ سَــنَاهُ فْخَمَــدْ

فبينما الإنسان في أوج نشاطه يتوقد حيوية وشبابا وعطاء كأنه قبس من نار أو جذوة شهاب تتلألأ في أديم السماء فإذ بهذا الدهر يباغته على حين غرة وغفلة منه فيقضي عليه بضربة واحدة ويطفئ تلك الجذوة الملتهبة ببريق بالحياة، ويمكن ملاحظة مدى استسلام الشاعر لسطوة الدهر ولسلطته القاهرة في هذا البيت الشعري فقد جعل منه فاعلاً صريحاً وقد أسند إليه فعل الضرب وقد انتهى فعله بحركة ظاهرة، أما الذات الإنسانية فقد وقع عليها ذلك الفعل ثم انطفأت جذوة الحياة فيها بعد ذلك وخمدت فاعليتها وسكن بريقها المتوهج، وهذا ما أوحى به الفعل (خمدْ) الذي انتهى بالسكون وقد جاء فاعله (الإنسان) على هيئة ضمير مستتر متواريا خلف طيات ذلك الحدث المأساوي الأليم فتواشجت الدلالة الصوتية والدلالة البنائية للجملة ابتغاء بلوغ المعنى المراد، ولعل ذلك الأمر يرجع إلى كون الشاعر قد وصل إلى حقيقة مفادها أنّ "الغلبة في النهاية لهذا الدهر الذي أفنى الناس جميعا وما استطاع شيء أن يؤثر فيه"[51].

([47]) المصدر نفسه: 189 _ 190 .
([48]) البنية الزمنية في الخطاب الشعري ديوان (الساعر) أنموذجاً، هجيرة طاهري، مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلد 13، العدد الأول، 2020م : 118 .
([49]) ديوان امرئ القيس: 309 .
([50]) المصدر نفسه: 217 .
([51]) ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، د. صادق مكي: 113 .

ومن بين أكثر النصوص الشعرية التي تجلى فيها قلقه وخوفه من المستقبل هي قصيدته البائية التي جاءت مُثقلة بدلالات الوجل والخوف من الموت والفناء الذي يسببه الدهر، والتي يقول فيها[52]:

أَرَانَـــا مُوضِـــعِينَ لأَمْـــرِ غَيْـــبٍ ... ونُسْـــحَرُ بالطَّعـــام وبالشَّـــرابِ
عَصـــــافِيرٌ وذِبّـــــانٌ وَدُودٌ ... وأَجْـــرَأُ مـــن مُجَلَّحَـــةِ الـــذِّئابِ
وكُـــلّ مَكـــارِمِ الأَخـــلاق صـــارتْ ... إليـــه هِمّتـــي وبـــه اكْتِســـابِي
فَـــبعْضَ اللّـــوْم عـــاذِلَتي فـــإنّي ... ســـتكفيني التجـــاربُ وانتِسَـــابي
إلـــى عِـــرْقِ الثَّـــرَى وَشَـــجَت عُروقـــي ... وهـــذا المـــوتُ يَسْـــلُبُنِي شَـــبَابِي
ونَفْسِـــي سَـــوْفَ يَسْـــلُبُها وجِرْمـــي ... فيلْحِقَنِـــي وشِـــيكاً بـــالتَّرابِ
أَلَـــم أَنـــضِ المَطِـــيَّ بكـــلّ خَـــرْقٍ ... أَمـــقّ الطّـــولِ لمَّـــاعِ السَّـــرابِ
وأَرْكَـــبُ فـــي اللّهـــامِ المَجْـــرِ حَتَّـــى ... أَنـــالُ مآكـــلَ القُحَـــمِ الرِّغـــابِ
وقـــد طَوَّفْـــتُ فـــي الآفـــاق حَتَّـــى ... رَضِـــيتُ مِـــنَ الغَنِيمـــةِ بالإِيَـــابِ
أَبَعْـــدَ الحَـــارِثِ المَلِـــكِ بـــنِ عَمْـــرٍو ... وَبَعْـــدَ الخَيْـــرِ حُجْـــرٍ ذِي القبـــابِ
أَرْجّـــي مِـــنْ صُـــروفِ الـــدَّهْرِ لِينـــاً ... ولَـــمْ تَغْفُـــلْ عـــن الصُّـــمِّ الهِضـــابِ
وأعلـــمُ أَنَّنـــي عمَّـــا قَلِيـــلٍ ... سأَنْشَـــبُ فـــي شَـــبَا ظُفُـــرٍ وَنَـــابِ
كمـــا لاقَـــى أَبِـــي حُجْـــرٌ وجَـــدِّي ... ولا أَنسَـــى قَتِـــيلاً بـــالكُلابِ

تتمحور هذه الأبيات حول فكرة جوهرية واحدة حبكت نسيجها بصورة مركزة حول أغلب مفاصل النص، وهذه الفكرة هي الإحساس الطاغي بيقينة الموت وهيمنته وسرعة سير الناس نحوه على غير إرادة أو رغبة منهم، وبسبب هذا الموقف المحكوم بالخوف تجاه هذه الظاهرة الوجودية فإنّ الشاعر قد دخل إلى موضوعه من غير مقدمات تمهيدية وذلك على خلاف أسلوبهم السائد وطريقتهم المتبعة وهم ينسجون نصوصهم الشعرية، إذ كانوا غالبا ما يقدمون بين يدي موضوعهم الرئيس بمقدمات طللية أو غزلية أو غير ذلك مما يقتضيه المقام، وأمّا في هذا النص فقد باشر الشاعر موضوعه من غير أيّ مقدمات تذكر، وعلى مستوى الزمن يتحرك هذا النص بين زمنين هما حاضر مرير معلوم ومستقبل ميتافيزيقي غامض ومجهول، ومن الطبيعي أن يفضي الآني إلى الآتي ويحيل الحاضر المعلوم إلى المستقبل المجهول، وقد حاول الشاعر أن يعمم رؤاه ويخرجها من إطارها الضيق المحصور بردة فعل ذاتٍ فردية إلى نطاق الممارسة الجماعية المتمثلة بـ(النحن)، لذلك استهل نصه الشعري بجملة فعلية جاءت مختزلة بلفظة واحدة هي قوله: (أَرَانَا) فشمل الفعل الذي يدل على اليقين، والذات المفردة التي جاءت منزوية خلف الحدث على شاكلة ضمير مستتر، والمجتمع الإنساني الذي جاء بصيغة ضمير بارز متصل بآخر الفعل، ثم أعقبها بألفاظ يستتر خلفها ضمير الجماعة وهي (موضعين، نسحر) ولعل الشاعر أراد أن يعمم مخاوفه تجاه المستقبل ويخرجها من نطاق الإحساس الفردي إلى نطاق ردة الفعل الجماعية والممارسة الإنسانية المشتركة .

لقد ثبت في روع الشاعر ووقر في نفسه أنّ الناس جميعهم آخذون بالسير نحو نهايتهم الحتمية، وهم في إقبالهم على الموت يبدون ضعافاً جداً ولا يعدون كونهم أكثر من طيور بالغة الضعف أو حشرات صغيرة لا حول لها ولا قوة، بينما نراهم مشغولين عن هذه الحقيقة الثابتة بتلك الأمور السطحية كالأكل والشرب، فتراهم يسعون خلف الحياة بشراسة الوحوش الكاسرة بينما ينسون أنهم ضعاف جدا أمام الموت الذي هم مقبلون نحوه بسرعة كبيرة" فالكل يكدح إلى الموت كدحا، ويسرع إليه إسراعاً، لكن الانشغال بالطعام وبالشراب يلهي الناس عما ينتظرهم، ويذهلهم عن مصيرهم "[53] .

([52]) ديوان امرئ القيس: 97 _ 100 .
([53]) الموت في الشعر الجاهلي : 67 .

وقد اتخذ الشاعر من الحوار وسيلة للولوج إلى حديثه عن المستقبل، إذ تدخل المرأة إلى سياق القصيدة على هيئة عاذلة تكثر من لوم الشاعر وعذله على نظرته التشاؤمية للحياة وهنا يستثمر الشاعر فاعلية هذا الحوار ليبين آرائه وفلسفته ومخاوفه تجاه الغيب الذي يحمله الزمن الآتي له وهو غيب مخيف لا يحمل في طياته سوى الموت المؤكد، ويؤكد الشاعر عبثية الحياة مقابل جدية الموت وترصده بالذات الإنسانية ثم يعضد فكرته تلك بتجاربه المريرة التي أبصر الموت فيها وهو يستلب كثيرا من أسلافه المقربين منه ويلقي بهم في مهاوي الردى بين براثن المجهول. ويأتي البيتان الخامس والسادس محملان بدلالة مثقلة باليأس والإحباط والإحساس بدنو الموت من الشاعر، وهذا الإحساس بالرعب من قرب لحظة الموت وتسارعها نحوه بجنون جعل الشاعر يخاطبه بعبارة (هذا الموت) والتي توحي بمدى دنوه وقربه منه، وذلك ما دلّ عليه اسم الإشارة الذي يُتداول لغوياً في الدلالة إلى الإشارة إلى كل ما هو بالغ القرب من الإنسان، فضلاً عن أنّه _ أي اسم الإشارة _ يَفترِضُ منطقياً وجود شيء مادي تُبصره العين كيما يُشار إليه بالبنان، فالإشارة إلى شيء تقتضي وجوده ماثلاً أمام من أشار إليه، إذ لا يُعقل أن يُشار إلى شيء غير موجود أصلاً .

وهو لم يكتف بذلك بل أسند فعل (السلب) إلى الموت وأخذ يكرره لأكثر من مرة وليس بخافٍ أنّ" التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ... ويضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها"[54]، فجاء به ظاهراً ومضمراً، ومعلوم أنّ السلب هو فعل ذو دلالة قهرية يرتبط عادةً بسلوكيات المقاتلين وتصرفاتهم أثناء المعارك والقتال، إذ يمارس فعله المنتصر الأقوى على المنهزم الضعيف بعد أن يقتله أو يوقعه تحت أسره، وعند ذلك يقوم بالاستحواذ على سَلَبِه وممتلكاته من ملابس وأسلحة وغير ذلك مما يمكن الاستحواذ عليه أو الانتفاع منه، وقد جاء عن النبي ﷺ قوله: " مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ "[55] .

لقد تمثل الموت في هذا النص الشعري على " هيئة إنسان يسرق ويسلب دون أن يرعوي أو يمنعه من ارتكاب الفعل الذميم أحد "[56]، وهو لا ينفك يخوض صراعه العنيف مع الشاعر، ثم ما إن غلبه على أمره حتى أخذ يستمتع بسلبه وينتشي مزهواً بنصره، أما الذات الإنسانية فحسبها أن تعلن عن استسلامها لتلك النهاية المأساوية وتلحق بمن سبقها من أسلافها الذين قضوا نحبهم وطواهم الماضي بين دفتيه بعد أن علمت علم اليقين أنّها صائرة إلى ما صاروا إليه وأنها ستلاقي ذلك المصير ذاته، وأنّ ذلك المفترس الكاسر لابدّ له أن يغرز أظفاره وأنيابه في الجسد الفاني، وهكذا " تنتهي القصيدة، بعد غورها في مصائر إنسانية أخرى إنحلت في الموت، بهذه اليقينية الساحقة السوداء "[57]، وبتلك الرؤيا اليائسة يسدل الشاعر الستار على نصه فيختتمه بهذه الأبيات :

([54]) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: 240 _ 243 .
([55]) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم : 5 / 310 .
([56]) شعر امرئ القيس دراسة أسلوبية : 150 .
([57]) في الشعرية، د. كمال أبو ديب : 44 .

قائمة المصادر والمراجع

1. أصداء الزمن عند الشاعر الجاهلي، د. أسماء أبو زيد محمد أبو زيد، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، ع 36، ديسمبر، 2021م
2. أقنعة النص (قراءات نقدية في الأدب)، سعيد الغانمي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991م .
3. بحوث في المعلقات، يوسف اليوسف، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1978م .
4. البنية الزمنية في الخطاب الشعري ديوان (الساعر) أنموذجاً، هجيرة طاهري، مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلد 13، العدد الأول، 2020م .
5. التخلص في القصيدة العربية من الصيغة إلى البنية، هاني توفيق نصرالله، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، مج14،ع5، 1999م .

أَبَعْـدَ الحَـارثِ المَلِـكِ بـنِ عَمْـرٍو ... وبَعْـدَ الخَيْـرِ حُجْـرٍ ذِي القبـابِ
أَرَجّـي مِـنْ صُـروفِ الـدَّهْرِ لِينـاً ... ولَـمْ تَغْفُـل عـن الصُّـمِّ الهِضـابِ
وأَعلـمُ أَنّنـي عمّـا قَلِيـلٍ ... سأَنْشَـبُ فـي شَـبَا ظُفُـرٍ وَنـابِ
كمـا لاقَـى أَبِـي حُجْـرٌ وجَـدِّي ... ولا أَنسَـى قَتِيـلاً بـالكُلابِ

لقد كان الزمن الآتي مخيفاً ومحاطاً بالمجهول بالنسبة لامرئ القيس لذلك بدا مستسلما يائسا أمام تلك النهاية المأساوية التي لا بد له أن يبلغها مهما امتد به العمر وطالت به الأيام وحاله في ذلك كحال من سبقه من أسلافه الذين لم يغن عنهم ملكهم أو سلطانهم شيئا فطواهم الموت بين صفحاتهم وأحالهم إلى أثر بعد عين .

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد، فقد توصل هذا البحث إلى نتائج عديدة تناثرت بين طيات صفحاته، يمكن إجمالها بالآتي:

- ❖ شكل خوف الزمن هاجسا وجوديا لدى أغلب شعراء العصر الجاهلي، إذ ربطوا بينه وبين الموت بعلاقة السببية، فنسبوا الموت إليه واعتقدوا أنّه وحده من يتحكم بهذه القضية .

6. تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م .
7. تقنيات السرد في رواية الغيث لمحمد ساري، بوتالي محمد، رسالة ماجستير، معهد اللغات والأدب العربي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، إشراف د. أحمد حيدوش، السنة الجامعية: 2008_ 2009م .
8. الدهر في الشعر الأندلسي دراسة في حركة المعنى، الدكتور لؤي علي خليل، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2010م .
9. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت .
10. ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت .
11. الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، د. كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1986م .
12. الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره (دراسة نقدية نصية)، د. صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، القاهرة د.ط، 1982م .
13. الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د. عبد الإله الصائغ، دار الرشيد للنشر، بغداد، د.ط، 1983م .
14. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الخطيب التبريزي، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م .
15. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشيد،الرياض، السعودية، ط2، 2003م .
16. شعر امرئ القيس (دراسة أسلوبية)، د. عبدالله بن حسين البار، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، ط1، 2003م .
17. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م .
18. في الشعرية، د. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1987م .
19. قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت، لبنان، ط2، 1981م .
20. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1962م .
21. اللغة الشعرية (دراسة في شعر حميد سعيد)، محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1977م .
22. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط2، 2003م .
23. مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار الساقي بيروت، لبنان، د.ط، 2009م .
24. ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، د. صادق مكي، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1991م .
25. الموت في الشعر الجاهلي، د. حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ط1، 1991م .
26. موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، حسن صالح سلطان، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، إشراف د. عمر محمد الطالب، 2005م.

- تنوعت التحولات الزمنية في نص امرئ القيس الشعري بين لحظة ماضية يسترجعها الشاعر ويسعد بالغوص بين ثناياها، وبين لحظة حاضرة شكلت واقعا مريرا اخترقته بعض الأوقات السعيدة والومضات المشرقة، وبين لحظة زمنية آتية لا يعرف الشاعر كنهها ولا يعرف ما الذي يختفي بين طياتها، وبين مستقبل غامض مجهول .

- شكل الزمن الماضي الزمن الذهبي للشاعر امرئ القيس لذلك فإنّ المتتبع لشعره سيجده كثير النكوص والانسحاب نحو تلك الأزمنة التي كانت الذات فيها أكثر شبابا وقتوه وأكثر قابلية وقدرة على التفاعل مع الآخر .

- اتخذ الشاعر امرئ القيس من بعض الأدوات والأساليب النحوية منفذا وممراً أسلوبيا بارزا بوصفها وسائل كان ينتقل من خلالها إلى سرد ذكريات الماضي كالأداة (ربَّ) أو الواو التي تغني عنها، أو أسلوب الحوار مع امرأة قد تستفزه وتجره إلى سرد مغامرات الماضي المنصرم .

- لم يكن الزمن الحاضر لامرئ القيس زمناً مأساويا أو محملاً بالهموم على الدوام، فقد احتوى على ومضات مشرقة كانت الذّات الشاعرة تُغمر فيها بالفرح والسعادة كتلك الأيام التي انتصف فيها لنفسه وأخذ فيها بثأره من واتريه وقتلة أبيه، أو تلك اللحظات التي كان يمتطي فيها صهوة حصانه فينطلق من فوره في رحلة صيد، وكذلك حين يركب ناقته فيتوجه بها إلى تلك البراري الواسعة والقفار الشاسعة في رحلة استجمام وتأمل .

- وأمّا شعره عن المستقبل فقد كان محملا بصورة ضبابية معتمة المعالم، هلامية التفاصيل، فصورة المستقبل غائبة عنه ولا يستطيع أن يمسك بخيوطها وأكثر ما يمكن له أن يعرفه عنها هو أنها قد غيبت أسلافه العظام وطوت صفحتهم بين معالمها، فأصبحوا عدماً كأن لم يغنوا في هذه الحياة شيئا، وصار سلطانهم إلى أفول وملكهم إلى زوال بعد أن دانت لهم رقاب الخلق بالطاعة وكانوا سادة الدنيا وملوكها ردحاً طويلا من الزمن .